

(*)
المنابر في الاسلام
وسبب اتخاذاها في الجوامع
للعالم الاثرى الأستاذ يوسف أحمد

مفكش الآثار العربية

- ١ -



للآثار العربية شأن لا ينكر ، وأثر في مختلف
 الثقافات من دينية وعلمية وفنية لا يحصى ، ولذا يتطلب
 بحثها دقة في الفن ، وسعة في الاطلاع ، مما لا
 يتوفر للكثيرين ، والاستاذ يوسف أحمد
 علم من أعلام الآثار المبرزين ، ومن لهم قدم ثابتة
 في هذا الفن ، مما جعل الحكومات الاجنبية مثل
 فرنسا واطاليا تقدر له جهوده في هذه السبيل فأهدته
 بعض نياشينها ، وقد تفضل بهذا البحث الذي يراه
 القراء بعدد وك
 المحرر

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع نخلة بالمسجد ، وكان هذا الجذع
 عموداً من عمد المسجد ، إذ كانت عمدته من خشب النخيل كسقفه ، وكان إذا خطب فأطال
 القيام وشق عليه قيامه ، استند فاتكأ عليه .
 فبصر به مرة رجل كان ورد المدينة ، وقد رأى منابر الكنائس بالشام ، فقال لمن
 يليه من الناس : « لو أعلم أن محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه ،
 فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام »

(*) سمي منبراً لارتفاعه وعلوه ، ويقال انبر الامير أي ارتفع فوق المنبر ، وكل مرتفع منبر ، وعلى
 ذلك فلا يسمى المنبر الذي صنع للنبي منبرا إلا تساهلا ، لأنه قليل الارتفاع .

فبلغ ذلك النبي فقال : ايتوني به ، فأمره فصنع له منبراً ذا ثلاث درجات . فوجد النبي في ذلك راحة . وكان ذلك في سنة سبع كما جزم به ابن سعد أو سنة ثمان كما جزم به ابن النجار . وقد اختلف في اسم هذا الرجل فقيل : تميم الداري وقيل : باقوم الرومي الذي بنى الكعبة لقريش وقيل : ميمون الخ .

(٢) كان ارتفاع هذا المنبر ذراعين وثلاثة أصابع ، وعرضه ذراعاً راجحاً ، وارتفاع رماثيه اللتين كان يمسكهما يديه الكريمتين إذا جلس شيراً وأصبعين . وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة ، وله ثلاث درجات ، وكان من خشب طرفاء الغابة ، وقيل من الأثل وهو الأصح من أقوال عشرة .

(٣) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقعد على علياهن ويضع رجله الكريمتين في وسطاهن .

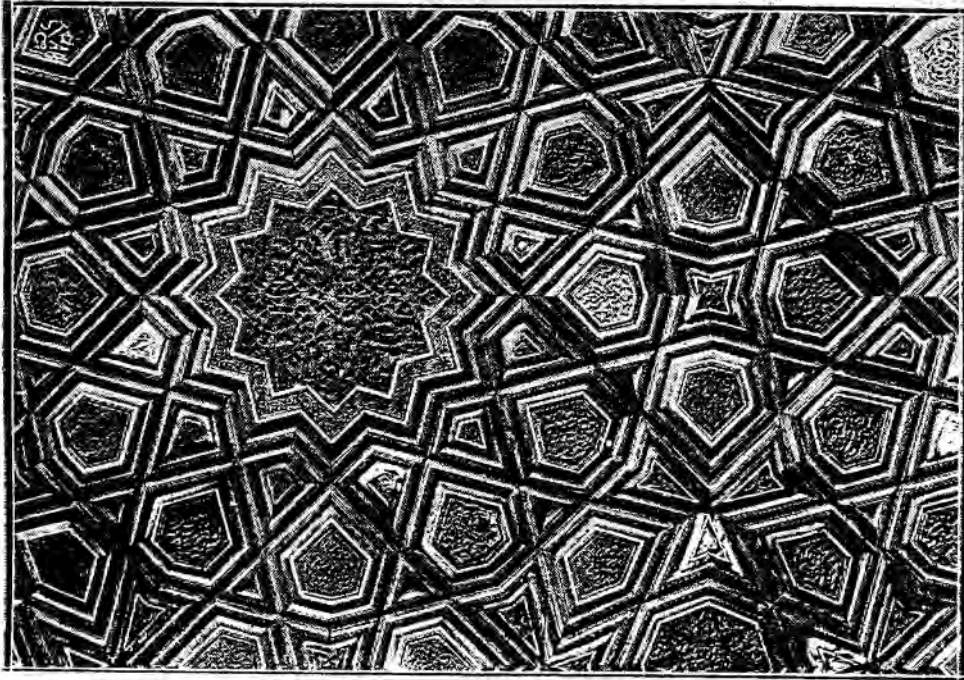
فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه قعد على وسطاهن تأدباً وجعل رجله على أولاهن فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجله على الأرض .
وفعل ذلك عثمان رضي الله عنه صدراً من خلافته قدره ست سنوات . ثم ترقى الى الثالثة ، فانتقده بعض الصحابة ، واستحسن ذلك بعض الحاضرين وقال مامعناه : رحم الله أمير المؤمنين : لو لم يفعل ذلك لأتى على المسلمين زمن يخطب فيهم الأمير في بئر ...

(٤) وقال سهل بن سعد الساعدي : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى عليها (أي على الدرجة الثالثة من المنبر) وكبر وهو عليها ، ثم ركع وهو عليها ، ثم نزل القهقري فسجد في أصل المنبر ، ثم عاد ، فلما فرغ أقبل على الناس فقال : أيها الناس — إنما صنعت هذا لتأتوا بي وتعلموا صلاتي .

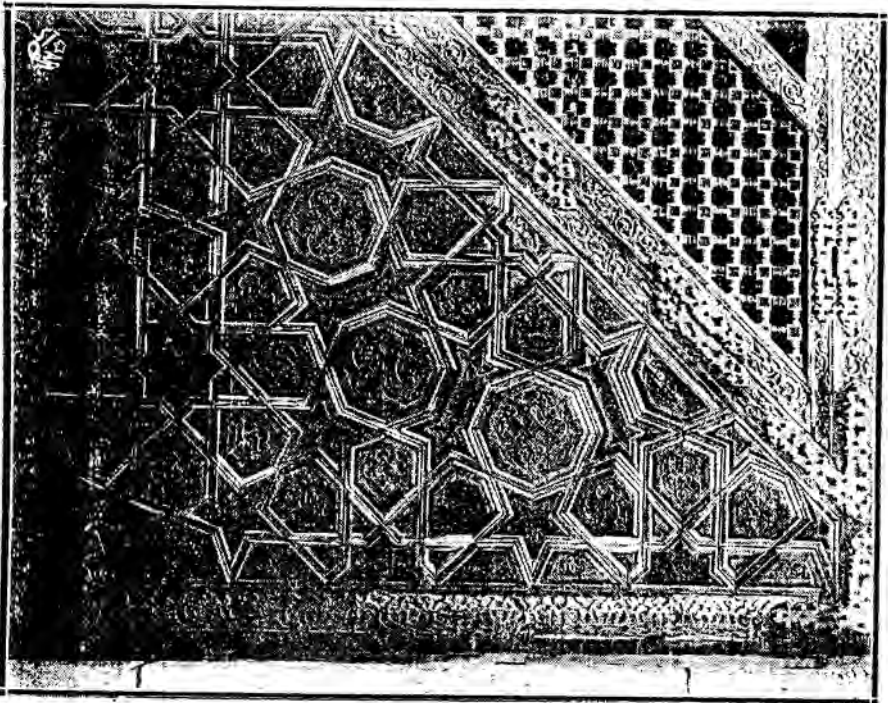
(٥) بقي هذا المنبر الى أيام معاوية ، فأراد نقله الى الشام ، فضج المسلمون . فلما رأى ذلك كتب الى « مروان » عامله على المدينة المنورة : أن ارفعه عن الأرض . (صيانة له)
فزاد من أسفله ست درجات ورفع عليها ، فصار له تسع درجات بالمجلس . وصار طوله أربعة أذرع وشبراً .

(٦) ولما حج المهدي بن المنصور العباسي سنة ١٦١ أراد أن يعيده الى ما كان عليه ، فأشار عليه الامام مالك بتركه خشية التهافت (التاكل) فتركه .

ويقال إن المنبر الذي صنعه معاوية ، تهافت على طول الزمان . وجدده بعض خلفاء بني العباس واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي أمشاطاً للتبرك .



(صورة رقم (١) : تفاصيل من منبر مسجد الصالح طلائع)



(صورة رقم (٢) : تفاصيل من منبر مسجد ابن طولون)

ثم احترق هذا المنبر لما احترق المسجد في شهر رمضان سنة ٦٥٤ أيام المستعصم بالله . وشغل المستعصم عن عمارته بقتال التتار ، فعمل المظفر صاحب اليمن منبراً وبعث به الى المدينة سنة ٦٥٦ فنصب في موضع منبر النبي . فبقى الى سنة ٦٦٦ فأرسل الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر منبراً ، فأزيل ذلك ووضع هذا محله ، وطوله أربعة أذرع ، وعلوه سبعة وكسره ، ودرجاته سبع بالمقعد .

(٧) وفي العقد الفريد لابن عبد ربه : إن منبر المسجد النبوي سبع درجات ، وسمر في أعلاها لوح لثلا يجلس أحد على الدرجة التي كان يجلس عليها النبي ، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زمننا الآن .

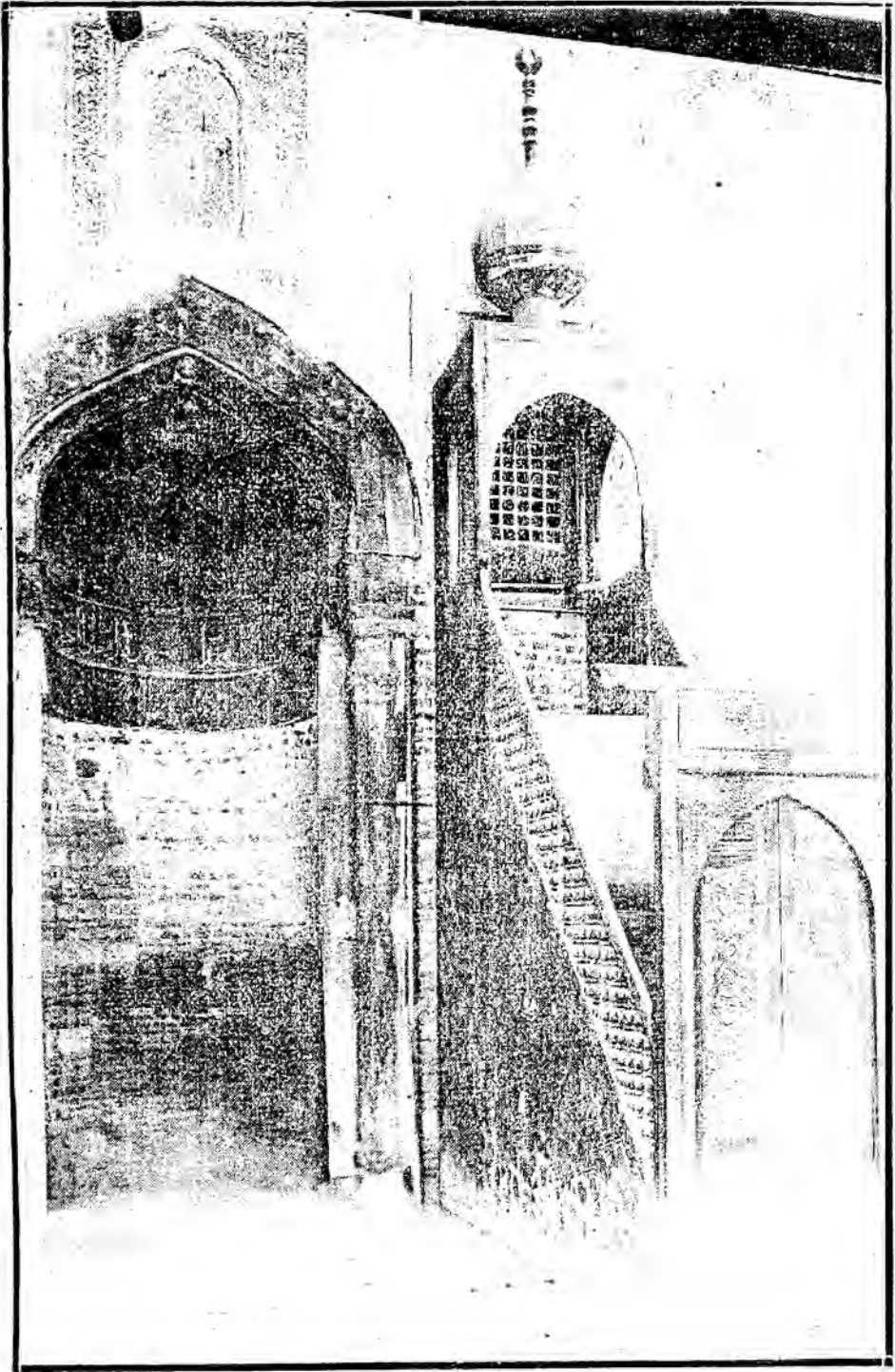
(٨) وكان بمكة منبر آخر أوجده معاوية بن أبي سفيان ، حين قدم من الشام وصنعه على مثال منبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وقد كان النبي والخلفاء الاربعة وولاتهم يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قياماً في وجه الكعبة وفي الخجر الشريف .

ولتكلم الآن على منبر أول جامع بني بمصر في العصر الاسلامي وهو جامع عمرو بن العاص بمدينة القسطنطينية .

(٩) لما بنى عمرو جامعہ اتخذ له منبراً من خشب ، فكتب اليه عمرو بن الخطاب يقول : « أما بعد ، فإنه بلغني أنك اتخذت منبراً ترفي به على رقاب المسلمين — أما حسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عتيبك ؟ فعزمت عليك إلا ما كسرتة . » فكسره . وقد كان هذا المنبر ثانياً المنابر في التاريخ الاسلامي .

بعد ذلك وجد منبر خشب في الجامع . قيل إن عمراً جعله فيه بعد وفاة عمرو . ويؤيد هذا ما ورد عن بجير بن زاهر قال : رحلت أنا ووالدي الى صلاة الجمعة تهجيراً فأطلنا الركوع ، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فدعرت . فقلت : يا ابي من هؤلاء ؟ فقال : يا بني : هؤلاء الشرط . فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو على المنبر ، فرأيت رجلاً ربة قصير القامة — الخ — راجع المقرئ في صفحة ٢٦٠ ج ٢ .

وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان ، الذي ولى على مصر سنة ٦٥ ومات سنة ٨٦ ، وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر .



(صورة رقم (٣) : منبر مسجد الصالح طلائع)

وقيل إن زكريا ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، الذى ولى على مصر سنة ٢٤ ، وبعث معه نجاره المسمى بقطر من أهل دندره فركبه .
ولم يزل هذا المنبر فى الجامع حتى زاد فيه فزة بن شريك فى سنة ٩٤ ، فعمل منبرا سواه .
واستمر هذا المنبر حتى قلع وكسر فى أيام العزيز بالله الفاطمى سنة ٣٧٩ ، وجعل مكانه منبر مذهب .

ثم أخرج هذا المنبر الى الاسكندرية وجعل بجامع عمرو فيها ، واستعوض عنه فى جامع مصر بالمنبر الكبير فى سنة ٤٠٥ أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى . وفى هذه السنة وجد هذا المنبر الجديد ملطخاً بالعذرة ، فوكل به من يحفظه ، وعمل له غشاء من آدم مذهب .
أما المنبر الحالى الموجود الآن بالجامع فحديث الصناعة ، وربما كان من زمن الأمير مراد بك الذى جدد الجامع سنة ١٢٢١

(١٠) أما فى قرى مصر فلم يكن يخطب فيها إلا على العصى بجانب القبلة ، إلى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمي من قبل مروان بن محمد الأموى ، فأمر باتخاذ المنابر فى الارياق سنة ١٣٢ هـ

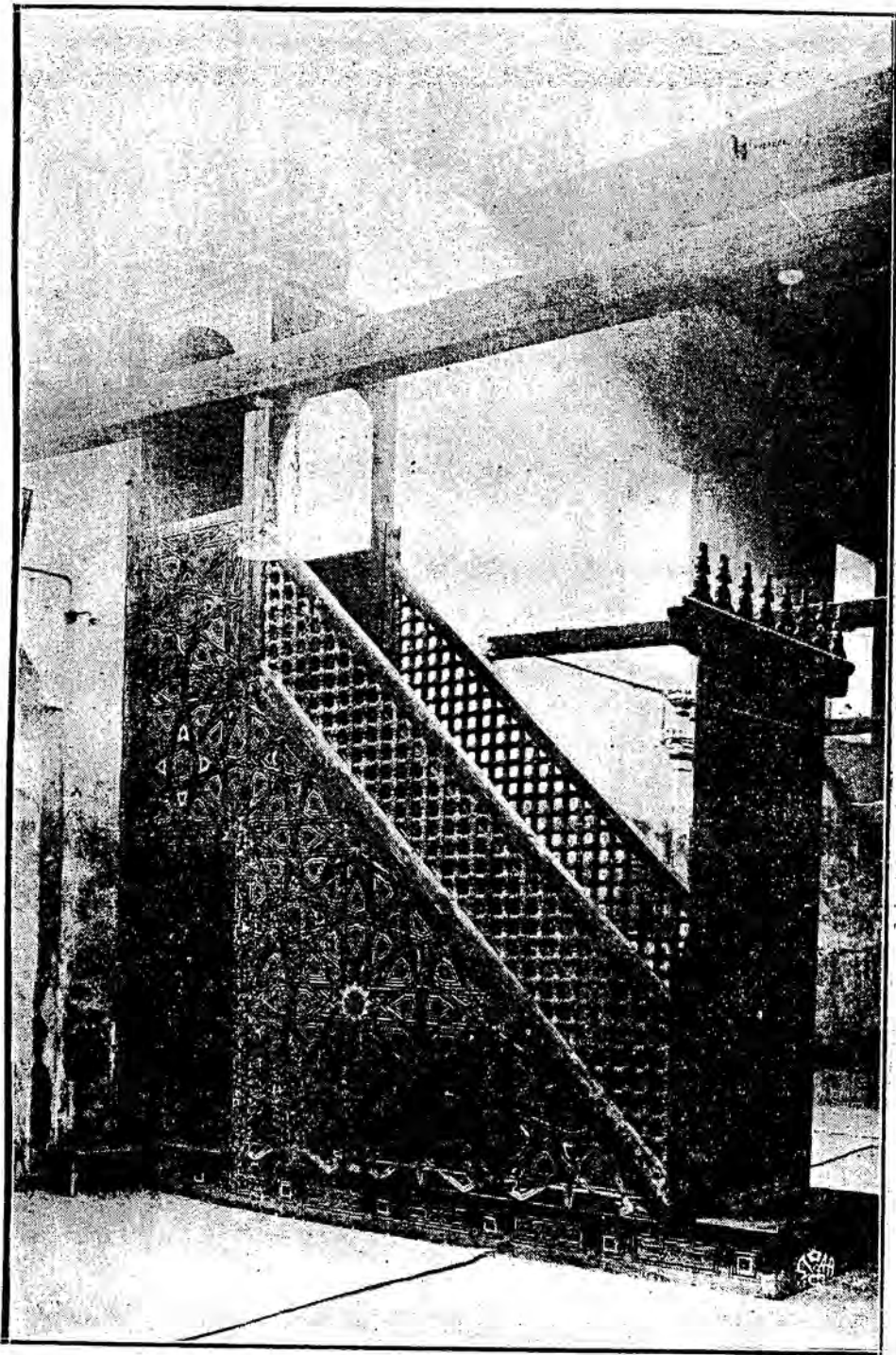
(١١) واستمرت المنابر فى القرى والامصار بحجم أكبر مما كانت عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أمر المهدي محمد بن أبى جعفر المنصور بتصغيرها وجعلها بقدر منبر النبي ، وذلك فى سنة ١٦١ ثم رجعت بعد ذلك الى الكبر .

(١٢) والمنابر الكبيرة بدعة من جملة ما أحدث فى المساجد ، تأخذ حيزا كبيرا فى المسجد وتقطع الصفوف ، والمسجد وقف على المصلين .

قال الامام أبو طاب المكي فى كتابه : إن مقدمة الصفوف إلى فناء المنبر بدعة . وكان الامام الثورى يقول : إن الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر . وقال ابن الحاج فى مدخله : « وأما بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف ، لكن بقيت عندهم يدعتان : إحداها كبر المنبر على ما هو بمصر . والثانية أنهم ينقلون المنبر إلى بيت إذا فرغ الخطيب من الخطبة . »

ولا بد أن تكون للمنابر إذ ذاك عجالات حتى يسهل نقلها عقب الخطبة .
ومنبر السنة كان ثلاث درجات ، وهى لا تشغل مواضع المصلين فان قال قائل : بل تشغل ولو موضعا واحدا . قلنا إن هذا مستثنى بفعل النبي صلى الله عليه وسلم .

وإن قيل : ربما كثر الناس واتسع الجامع ، فاذا صعد الخطيب على المنبر ذى الثلاث درجات



(صورة رقم (٤) : منبر مسجد أرغون شاه الاسماعيلي)

قل أن يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم . قلنا : إن من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعون لكونه بعيداً عن مستواهم ، فكأنه فى سطح وحده ، لا يسمع من تحته ، وهذا مشاهد . ومن الحقائق الثابتة فى عم الصوت أنه كلما بعد الإنسان عن مصدر صوت كلما قلت شدة ذلك الصوت وقل سماعه . على أن هذه الشدة تتوقف على عوامل أخرى كالرياح والريين والصدى ولكننا ترك الكلام على هذه العوامل ، ونعتبر فقط بعد السامع عن مصدر الصوت ، فإذا اخترنا مصلياً فى نقطة ما من فناء الجامع تبعد عن خطيب مرتق منبرا ذا ثلاث درجات بقدر عشرين متراً ، فإن مسافة هذه النقطة تكبر ، كلما علا الخطيب على الدرج . وعلى ذلك تقل شدة الصوت فى تلك النقطة من الجامع ، فيقل سماع المصلى لكلمات الخطيب .

ومع ذلك فلا بأس من أن يرتقى الخطيب منبراً قصيراً درجاته أكثر من ثلاث ليراه المصلون جميعاً ، فتبين لهم حركاته وسكناته بوضوح أثناء الخطبة . فالارتفاع القليل لا يؤثر كثيراً فى شدة الصوت .

(١٣) وقد كانت المنابر فى القرون الأولى الإسلامية تجعل تحت درجها قنطرة يصلى فيها المصلون حتى لا ينقطع الصف . قال البشارى فى كتابه «أحسن التقاسيم» الذى فرغ من تأليفه قبل سنة ٣٧٥ هجرية أثناء التكلم على بلدة زبيد ، قصبة تهامة :

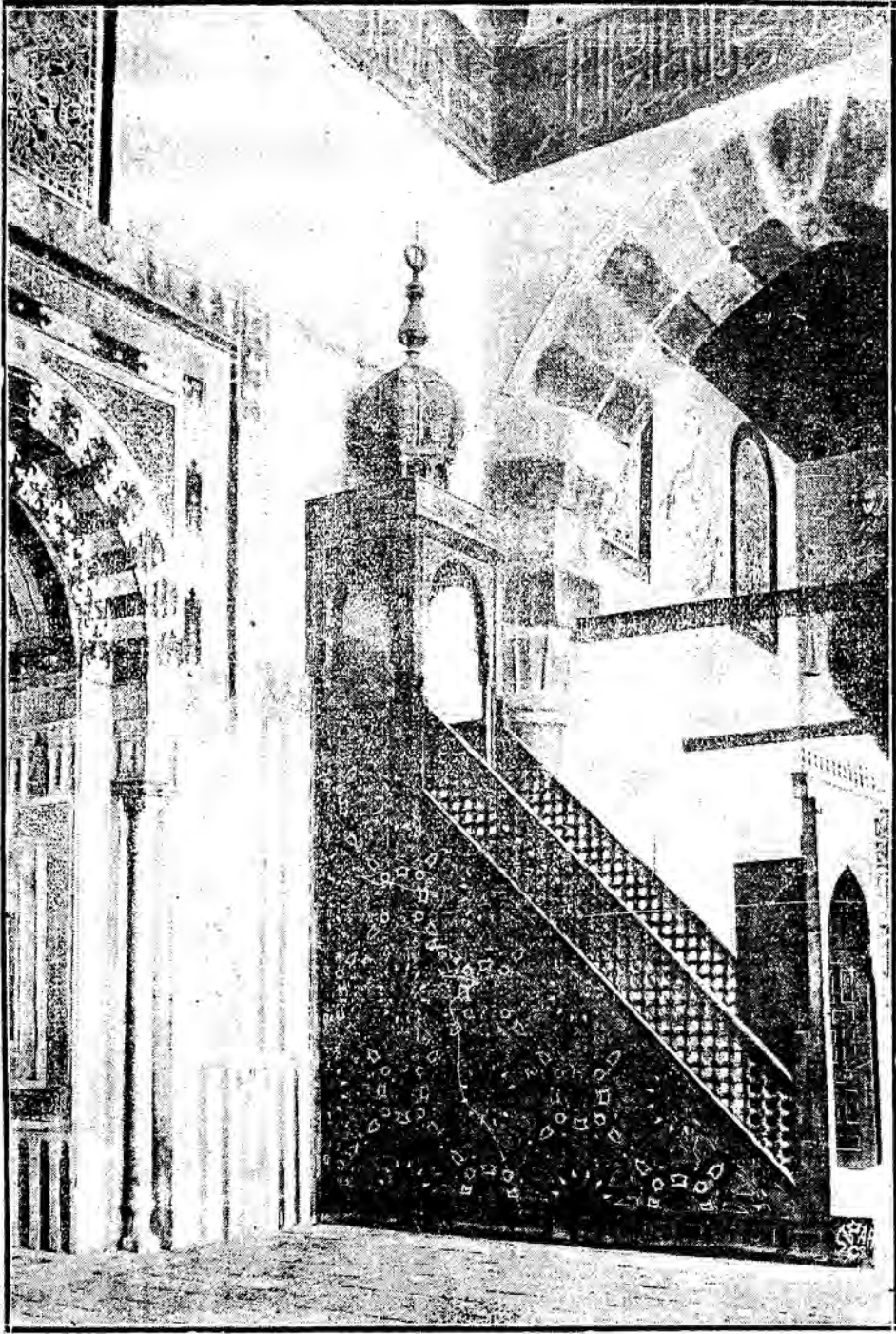
« إن الجامع ناء عن الأسواق ، نظيف مبرق الأرض تحت المنبر تقوير ليتصل الصف » ثم عملت المنابر فى العصر الفاطمى وما بعده سداً بدون نافذتين فى الجانبين ، كما يشاهد فى منبر الجامع العمرى بقوص ، وهو الذى أنشأه الملك الصالح طلائع ، وزير الخليفة الفائز عيسى الفاطمى سنة ٥٥٠ الهجرية — انظر صورة جزء منه رقم (١) ص ٦٥٩

وفى منبر الجامع الطولونى الذى أنشأه السلطان حسام الدين لاجين المنصورى سنة ٦٩٦ كما يتضح من الصورة رقم (٢) ص ٦٥٩

وفى منبر مسجد الصالح طلائع . الكائن تجاه باب زويلة بالقاهرة ، الذى أنشأه الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ — كما يتضح من الصورة رقم (٣) ص ٦٦١

وفى منبر مسجد أرغون شاه الاسماعيلى المنشأ سنة ٧٤٨ ، فإن تصميمه عمل فى الأصل بدون بابين ، ثم رؤى أثناء العمل أو بعده بقليل ضرورة وجود البابين ، ففتح فيه كما يرى فى الشكل رقم (٤) ص ٦٦٣ ، وهو من أشغال التجارة الدقيقة .

وفى منبر جامع الماردانى الذى أنشأه سنة ٧٤٠ كما يظهر فى الصورة رقم (٥) ص ٦٦٥ (البقية على صفحة ٦٦٨)



(صورة رقم (٥) : منبر مسجد المدراني)